

تفسير السعدي

@ 298 @ يكونون في سراء وتارة في ضراء ، وتارة في فرح ، ومرة في ترح ، على حسب تقلبات الزمان ، وتداول الأيام ، وحسبوا أنها ليست للموعظة والتذكير ، ولا للاستدراج والנקير . حتى إذا اغتبطوا ، وفرحوا بما أوتوا ، وكانت الدنيا ، أسر ما كانت إليهم . ! 2 2 ! بالعذاب ! 2 2 ! أي : لا يخطر لهم الهلاك على بال ، وطنوا أنهم قادرون على ما آتاهم □ ، وأنهم غير زائلين ولا منتقلين عنه . ^ (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ول كن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون * أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون * أفأمنوا مكر □ فلا يأمن مكر □ إلا القوم الخاسرون) ^ لما ذكر تعالى أن المكذبين للرسول ، يبتلون بالضراء ، موعظة وإنذارا ، وبالسراء ، استدراجا ومكرا ، ذكر أن أهل القرى ، لو آمنوا بقلوبهم ، إيماننا صادقا ، صدقته الأعمال ، واستعملوا تقوى □ تعالى ، ظاهرا وباطنا ، بترك جميع ما حرم □ ، لفتح عليهم بركات من السماء والأرض ، فأرسل السماء عليهم مدرارا ، وأنبت لهم من الأرض ، ما به يعيشون ، وتعيش بهائمهم ، في أخصب عيش ، وأغزر رزق ، من غير عناء ولا تعب ، ولا كد ولا نصب ، ولكنهم لم يؤمنوا ويتقوا ! 2 ! بالعقوبات والبلايا ، ونزع البركات ، وكثرة الآفات ، وهي بعض جزاء أعمالهم ، وإلا ، فلو أخذهم بجميع ما كسبوا ، ما ترك على ظهرها من دابة . ! 22 ! . ! 2 2 ! أي : المكذبة ، بقرينة السياق ! 2 2 ! أي : عذابنا الشديد ! 2 2 ! أي : في غفلتهم ، وغرثهم ، وراحتهم . ! 2 2 ! أي : أي شيء يؤمنهم من ذلك ، وهم قد فعلوا أسبابه ، وارتكبوا من الجرائم العظيمة ، ما يوجب بعضه ، الهلاك ؟ ! 2 2 ! حيث يستدرجهم من حيث لا يعلمون ، ويملي لهم ، إن كيده متين ، ! 2 2 ! فإن من آمن من عذاب □ ، فإنه لم يصدق بالجزاء على الأعمال ، ولا آمن بالرسول حقيقة الإيمان . وهذه الآية الكريمة ، فيها من التخويف البليغ ، على أن العبد ، لا ينبغي له أن يكون آمنا ، على ما معه من الإيمان . بل لا يزال خائفا وجلال ، أن يبتلى ببليّة ، تسلب ما معه من الإيمان ، وأن لا يزال داعيا بقوله : (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) ، وأن يعمل ويسعى ، في كل سبب يخلصه من الشر ، عند وقوع الفتن ، فإن العبد ولو بلغت به الحال ما بلغت فليس على يقين من السلامة . ! 2 ! يقول تعالى منبها للأمم الغابرين بعد هلاك الأمم الغابرين : ^ (أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) ^ ، أي أو لم يتبين ويتضح ، للأمم الذين ورثوا الأرض ، بعد إهلاك من قبلهم بذنوبهم ، ثم عملوا كأعمال أولئك المهلكين

؟ أو لم يهتدوا أن ا ، لو شاء لأصابهم بذنوبهم ، فإن هذه سنة في الأولين والآخرين .
وقوله : ! 2 2 ! أي : إذا نبههم ا ، فلم ينتبهوا ، وذكرهم ، فلم يتذكروا ، وهداهم
بالآيات والعبر ، فلم يهتدوا ، فإن ا تعالى يعاقبهم ، ويطبع على قلوبهم ، فيعلوها
الران والدنس ، حتى يختم عليها ، فلا يدخلها حق ، ولا يصل إليها خير ، ولا يسمعون ما
ينفعهم ، وإنما يسمعون ما به تقوم الحجة عليهم . ! 2 2 ! الذين تقدم ذكرهم ! 2 !
ما يحصل به عبرة للمعتبرين ، وازدجار للظالمين ، وموعظة للمتقين . ! 2 2 ! أي : جاءت
هؤلاء المكذبين رسلهم ، تدعوهم إلى ما فيه سعادتهم ، وأيدهم ا بالمعجزات الظاهرة ،
والبيانات المبينات للحق ، بيانا كاملا ، ولكنهم لم يفدهم هذا ، ولا أغنى عنهم شيئا . ! 2
! أي : بسبب تكذيبهم ، وردهم الحق أول مرة ، ما كان يهديهم